دلالات القوة والشموخ في بعض المنحوتات العراقية القديمة

م. د. احمد بشار جمعه

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة واسط

تاريخ الاستلام : 17-12-2020

تاريخ القبول :08-03-2021

الملخص

تركز هذه الدراسة حول موضوع دلالات القوة والشموخ في بعض المنحوتات العراقية القديمة محاولة لتسليط الضوء على نتاجات الفنان العراقي القديم حول ماهية تلك الأعمال وما تحمله من أبعاد لمشاهدها الفنيه كانت دلالات القوة والشموخ أحد تلك الرموز التي عبرت عنها تلك المنحوتات بصورة واضحه أو عن طريق ايحاءت ولمسات اضافها النحات العراقي القديم وفق رؤيته لموضوع معين انعكاساً كان لظاهره أو تسقيط حقيقة ما في عمله الفني. فالفن العراقي القديم أحتوى في طيات مشاهده الفنية على مجموعة من المواضيع كانت تعبيراً ذاتياً في بعض الأحيان لرؤية الفنان ومخيلته أو انعكاساً لصفات شخصية في المجتمع أو كانت تلبيةً لرغبات السلطتين الدينية والسياسية محاوله منهما للتعبير وتوظيف مواضيع تنقل تطلعاتها وأفكارها تفرض عن طريقها هيمنها في المجتمع عاكسةً ما تتمتع به من مكانة سامية مرموقه كانت دلالات القوة والشموخ أحدى تلك المواضيع التي تضمنتها المنحوتات الفنية.

الكلمات المفتاحية: القوة، الشموخ، المنحوتات العراقية القديمة، أهمية المنحوتات، الإنسان البطل، الإنسان الثور، الآلهة المجنحه، المنحوتات الحارسة.

Signs of Strength and Prestige in some Ancient Iraqi Sculptures

Dr. Ahmed Bashar Jumaah

College of education for human sciences / Wassit University

abashar@uowasit.edu.iq

07710314966

Receipt date: 2020-12-17
Date of acceptance: 2021-03-08

Abstract

The subject of this study is the signs of Power and pride in some ancient sculptures in Iraq. To shed light on the ancient Iraqi artist's products, it is about what these works are and what dimensions they carry for their artistic scenes. According to a vision of a specific theme, the ancient Iraqi sculptor inserted it, representing the phenomenon or projection of reality in artistic practice. In its artistic scenes, ancient Iraqi art contained a collection of subjects that were often self-expression of the vision and creativity of the artist, or a representation of personal characteristics in society, or was in response to the religious and political wishes of the two authorities. It is an attempt by them to express and employ topics that convey their aspirations and ideas that impose their hegemony in society, reflecting what,it enjoys a prominent and sublime position. Signs of strength and prestige were one of those topics included in the artistic sculptures.

Key words: Strength, Glory, Ancient Iraqi sculptures, Importance of sculptures, Heroic man, Taurus, Winged gods, Guardian sculptures**.**

المقدمة:

المقدمة

تناول الفن العراقي القديم مواضيع مختلفة سواء كانت نحتاً بارزاً أو مجسماً أو الواح تذكارية أو مسلات أحتوت مواضيعاً مختلفة دينية أم مدنية كانت تجسيداً لمجموعة من المظاهر والفعاليات عكست قوة الآلهة في بعض منها وتضمنت أخرى بطولات الأشخاص كالصيد أو جاءت تعبيراً عن مشاهد معارك تقص بصوره رمزية بطولات الملوك وأستبسالهم في المعارك. جاءت تلك المنحوتات لتعبر عن صفات خاصة وعامة في المجتمع كان أبرزها دلالات القوة والشموخ فتنوعت الأبعاد الرمزية للأعمال الفنية وما تعكسه من رؤيه بصورة فنية متكاملة. إذ كان الفن وسيلة التعبير الأولى التي أستخدمها الإنسان العراقي القديم منذ عصور ما قبل التاريخ وجد فيه منفذاً محاوله منه للهيمنه أو على الأقل يشعر نفسه بالاطمئنان في حيز الوجود. فمن خلال الأطلاع على تلك المنحوتات لا تترك مجالاً للشك بانها لم تكن اعمالاً فنيه من أجل الفن بقدر ما تعلق الأمر بأن الإنسان العراقي القديم أنتج تلك الأعمال ليعكس ويعبر من خلالها عن صفات حيوية للمجتمع كانت القوة والشموخ أحد تلك السمات.

تقوم مشكلة البحث على تشخيص دلالات القوه والشموخ كصفات عامة عبر عنها الفن العراقي القديم بصورة رمزية عكس من خلالها بعض السمات التي تمتع بها المجتمع بصورة عامة محاوله منه ليعبر عن تلك الصفات بأسلوبه ورؤيته الفنية فكانت المنحوتات نموذجاً لأظهار تلك الدلالات في بحثنا.

تتمثل فرضية البحث بان الفن العراقي القديم قد تضمن في طياته على العديد من المشاهده الفنيه التي عبرت عن رؤى وأفكار ومظاهر مختلفة ومن الممكن تشخيص دلالات القوه والشموخ كواحدة من تلك المظاهر التي عبر عنها الفنان العراقي القديم ليظهر أهم الصفات التي تميز بها الإنسان العراقي القديم من قوه وشجاعه وثبات متخذاً من المنحوتات وسيلةً للتعبير عن تلك الدلالات.

تكمن أهمية الدراسة بأن الإنسان العراقي القديم أنتج فناً وتعلم ذلك الفن وكانت لذلك النتاج دوافع، يظاف إلى ذلك أن تلك الاعمال الفنية أحتوت على مشاهد متعدده عبرت وفق رمزيتها عن سمات القوة والشموخ في الحضارة العراقية القديمة.

هناك الكثير من الدراسات التي ركزت حول موضوع الفن العراقي القديم ودراسته وأن أغلب تلك الدراسات سلطت الضوء على دراسة تاريخ الفن فضلاً عن الدراسات الفنية، إلا أننا في هذه الدراسة نركز على أستخدام المنهج التحليلي من خلال تحليل وتفكيك المشهد الفني للوقوف على الأسباب التي دفعت إلى أنتاج هكذا أعمال فنية.

اعتمد الباحث على مجموعة من المصادر التي بحثت في تاريخ الفن العراقي القديم كان أهمها كتاب سومر فنونها وحضارتها لأندري بارو ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي الذي تناول فيه تاريخ الفن للحضارة العراقية القديمة في عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية داعماً ذلك بالشواهد الفنية، يظاف لذلك كتاب الفن في العراق القديم لأنطوان مورتكات

ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي فضلاً عن كتاب تاريخ الفن "الفن العراقي سومر وبابل وآشور"، الجزء4 لثروت عكاشة ومن المصادر الأخرى كتاب الفنون البابلية لزهير صاحب.

قسم البحث الى محورين، ركز المحور الأول على أهمية المنحوتات في الدراسات التاريخية، فضلا عن المحور الثاني الذي تضمن دراسة تحليل لدلالات القوة والشموخ في بعض المنحوتات العراقية القديمة، وقد أسند هذا المحور بمجموعة من المشاهد الفنية، وقد ختم البحث بمجموعة من الأستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة.

المحور الأول: أهمية المنحوتات في الدراسات التاريخية.

تعد الفنون بشتى أنواعها أهم الوسائل الفكرية لتحويل عالم الفوضى والوهم إلى صورة مدركة محسوسة واقعياً، أي بمعنى أخر أنها تعبر عن طاقة الفكر الإنساني من مجرد تسمية الأشياء إلى تكوين صورة معبرة عن مفاهيم ذو رموز ودلالات ولدتها الحاجة الفكرية لدى الإنسان بفعل تطور الوعي الإنساني وبهذا إستطاع الإنسان أن يرتقي بفكرة نحو الأشياء ليس بمجرد تسميتها وإنما إلى الإرتقاء بها نحو المفاهيم المتحركة والدالة على مجموعة من الأشياء تجمعها علاقة رابطة واحدة (صاحب، 2011، ص 23)

يعد النحت من أهم أنواع المهارات الفنية التي أبدع فيها الإنسان العراقي القديم فكان النحت أحد الوسائل وأصدقها تعبيراً التي من خلالها أستطاع الإنسان أن يعبر عما شغل فكره وكذلك كان وسيله أخرى أستخدمها الإنسان العراقي القديم لتوثيق الحدث التاريخي، لهذا يعد فن النحت عالماً قائماً بذاته إذ أنه عكس صورة واقع حدث تاريخي ما في مكان وزمان معين، فمشاهد الحروب والقتل والأسرى والصراع والعنف والصيد ماهيه إلا أنعكاس لحقيقة تاريخية عبر عنها الإنسان العراقي القديم برؤية وأحساس فني موضحاً ماهية ذلك الحدث من خلال النحت. (عارف، 1972، ص 85)

لقد إستطاع الإنسان العراقي القديم أن يتعامل مع واقعة وفق الإيماءات المحددة للدلالة على الشيء، فأخذ يتعامل وفق فكرة بالإنتقال مع المادي المحسوس إلى صورته الذهنية ومن إستخدام الأشياء إلى إستخدام رموزها. وبهذا إحتل المفهوم محل الشيء عن طريق ذلك أتيح للإنسان فرصة للخروج من حيز قلقة الوجودي عن طريق تعامله مع مفاهيم منفتحة ودالة على وفرة من الجزيئيات المعبرة عن وسائل إقناعيه سواء كانت لنفسه أم إلى المجتمع. (صاحب، 2011، ص 23–24)، إذ أن معظم الأعمال الفنية جاءت أنعكاساً لجانب مهم من العادات والتقاليد للحياة اليومية للمجتمع والسلطة الحاكمة بما يمارسه من نشاطات وفعاليات سواء كانت عسكرية، كما كرست تلك الأعمال الفنية مشاهد صيد الحيوانات وما يقوم به الملك من رياضة صيد الاسود (رشيد، 1969، ص 41) فقد أستمد النحات العراقي القديم أفكاره ومواضيعه من مشاهد الحياة اليومية التي كانت تلهم مخيلته وحسه الفني؛ إذ نجد كماً هائلاً من تلك الأعمال الفنية جسدت مواضيع مختلفه ومتنوعه دينية ودنيوية منها ما يتعلق بمشاهد تقديم الآلهة وأخرى تتمحور حول الألعاب والموسيقى وكذلك صورت البعض منها الحرف والمهن كما عكست تلك المشاهد حالات

الصراع سواء بين الآلهة أم الإنسان سواء مع بني جنسه أم مع الحيوانات والتي كان لها حيزاً كبيراً جداً في مشاهده الفنية (بارو، 1979، ص 348-349).

تعد النتاجات الفنية واحدةً من إبداعات الإنسان العراقي القديم التي جاءت بصور واشكال متعددة منها فن النحت المجسم والبارز والنقش على الأختام والرسومات على الأنيات والجرار الفخارية ذات المشاهد الفنية المتنوعة أستخدم فيها كافة الإيحاءات الرمزية بطريقة مصورة فنياً، تنوعت واختلفت في اهدافها والغاية المنشودة منها. وايضاً حملت هذه المشاهد طابعاً مميزاً قد يكون الأول من نوعه في العالم القديم أبدعت فيه الحضارة العراقية القديمة وانفردت به من سبقها لما جاورها من حضارات اخرى متمثل باحتواء مشاهدها الفنية على إيحائات رمزية تدل على القوة والشموخ أراد الفنان العراقي القديم التعبير عنها بطريقته الخاصة من خلال تجسيدها بأشكال وصور متنوعة في مضمون اعماله الفنية من نقش على الاختام ورسومات ومنحوتات متنوعة.

لقد كانت البيئة الطبيعية خير دافع أستلهم منها الفنان العراقي القديم قوة التعبير عن أفكاره في الأعمال الفنية (عارف، 1972، ص 71) فعلى سبيل المثال نجد أن مجموعة من الأعمال الفنية عكست جانباً من علاقة الإنسان بالحيوانات سواء أنسنتها وترويضها أم الصراع معها وهذا الأمر كان نابعاً من الدور الذي لعبته الحيوانات في عقلية الفكر الإنساني بوصفها نتاجاً فنياً احتل منزله عالية ضمن مجمل إبداعات الإنسان العراقي القديم عاكسةً تطلعاته الروحية والفكرية وبصورةً خاصة رأيه بما حوله (كريمر، 1973، ص 225) وهذا يدل على مستوى تطور العلاقة بين الانسان والحيوان تدريجياً من مرحلة الصيد إلى مرحلة العلاقة الغذائية وأنسنتها والأستفادة منها في مرحلة اكثر تطوراً لها وهذا المتطلب عكسته الأعمال الفنية (الفتلاوي، 2009، ص 50). لهذا نجد كماً من الأعمال الفنية التي تضمنت دلالات القوة والشموخ كانت نابعةً من مدى تأثر الإنسان العراقي القديم بما حوله من عنف الطبيعة والحياة القاسية وكثرة المخاطر المحدقه به وصراعه من أجل البقاء حياً، فهو يعيش في بيئة مليئه بالمخاطر قاسية وعنيفه بيئة يتصارع فيها الأضداد فحياته كانت عباره عن أرض معارك لهذا نجد أن الإعمال الفنية عكست جانباً مهماً من مرحلة حياته عبر من خلالها الفنان العراقي القديم عن واقعه الحي، لهذا نجد تنوع المشاهد الفنية التي دلت على القوة والشموخ من مشاهد صراع الحيوانات فيما بيها ووضحت أخرى قوة وشموخ الإنسان في صراعه مع الحيوانات كما صورت مشاهد أخرى عنف المعارك والقوه والشجاعة للملك، كل تلك الإعمال الفنية عبر من خلالها الإنسان العراقي القديم عن قوته وشجاعته وأنتصاره مبيناً تفوقه فيها (عارف، 1972، ص 69)، إذ أن الإنسان العراقي القديم عكس تلك المعاناة من خلال المشاهد الفنية بطريقة رمزية تَغَلبَ من خلالها على مخاوفه والمخاطر التي كانت تهدد حياته فنجده ظهر فيها بهيئة الإنسان البطل القوي ذو الشموخ والرفعه.

تعد التنقيبات والتحريات الآثارية هي الوسائل العلمية المتبعة من قبل المؤرخ والباحث العلمي في حضارة العراق القديم التي عن طريقها يتم الحصول عن المعلومات التاريخية القديمة من مجموعة من المصادر المختلف والبقايا المادية واحدة منها مثل (الابنية العمارية، الالات، الادوات والنتاجات الفنية) أم تكون على شكل نصوص مدونه بالخط المسماري. هنا يكمن جوهر الأهمية

العلمية لدراسة المنحوتات الفنية في الدراسات التاريخية سواء كانت نحتاً مجسماً أم بارزاً بما تتضمنه مشاهدها الفنية من رموز ونقوش أو نصوص حينها تخضع لعملية التحليل والتدقيق وبهذا يستطيع المنقب الآثاري والباحث التاريخي الوقوف على الحقيقة التاريخية والحقبة الزمنية لتلك الأعمال الفنية وأرجاعها إلى الأدوار الحضارية* والعصر الذي تنتمي إليه، وبهذا ساعدت تلك النشاطات على اعطاء ورسم صوره عن جانب معين للحضارة العراقية القديم؛ فهي واحد من مصادر المادية التي تردف المختصين في مجال الآثار والتاريخ بمعلومات علمية دقيقة أثناء البحث عن حضارة العراق القديم (الشيخلي، 1990، ص 24-29).

لهذا تعد دراسة النتاجات الفنية واحده من أهم الدراسات العلمية نتيجة لما تتضمنه من خصائص ومميزات حضارية تعود لعصور مختلفة مكنت العلماء من تحديد الفتره الزمنية لها مما ساعد على ضبط التسلسل الزمني للأدوار الحضارية.

أن مغزى الهدف من تلك الاعمال ومدلولها لايقف عند مرحلة العثور عليها في الموقع الأثري ولا على شكلها وطريقة عملها وأنما يكمن جوهرها وقيمتها العلمية بما تحتويه من معلومات تاريخية غاية الدقة لهذا يتطلب الأمر التعمق في دراستها بصورة دقيقة (حنون، 1992، ص 13).

المحور الثاني: دلالات القوة والشموخ.

أولاً: الإنسان البطل.

من أولى المنحوتات التي ترمز في طيات تعبيرها الفني إلى دلالات القوة والشموخ تلك المشاهد الفنية التي تعود إلى البطل جلجامش الذي تغنت ببطولاته القصائد الأدب الملحمية فأخذ الكتبه يقصون شجاعته ومن خلال كتاباتهم بأسلوب أدبي رفيع امتاز بالرقي الذي يسمو به الأبطال الشجعان، لهذا نجد كماً من النصوص الأدبية السومرية والبابلية التي أعطت وصفاً دقيقاً لذلك البطل، لم يقف عند ذلك الحد التغني والتمجيد بشخص جلجامش بل تعدى ذلك أن ذهب الفنان العراقي القديم أن يتخذ من النحت أسلوباً أخر أظهر من خلال المشاهد الفنية صورة أخرى لجلجامش؛ إذ نجد كماً هائلاً من تلك المنحوتات التي حاكا من خلالها النحات العراقي القديم ما تمتع به جلجامش من صفات القوة والشموخ إذ أظهرته تلك المشاهد بالشخص العاري لنصف جسده الأعلى عملاق البنيه أشعث الشعر تلك الصفات توضح انه شخص كان يتمتع بقوه جسديه كرسها لحماية مدينته، لهذا نجد مدى تأثر الفنان العراقي القديم بشخص البطل جلجامش موظف ذلك في أعماله الفنية مبيناً بذلك مدى تأثيره بالمجتمع كحامي ومنقذ ومخلص لهم، لهذا نجد تنوع الصور التي ظهر بها جلجامش في تلك المشاهد الفنية التي تعددت فيها عمليات

* الدور الحضاري يمثل تلك الحقبة الزمنيه التي قد تدوم بضعة قرون ويتألف في الموقع الأثري من مجموعة من الطبقات الأثرية التي تتميز بمجموعة من الخصائص المعمارية أو الفنية، وهذا يعني ان الدور الحضاري يمثل جملة الخصائص الحضارية لتاريخ المواقع الأثري.

الانقاذ والحماية فنجده مرةً يدافع عن الغلال وحضائر الماشية والثيران ومرةً أخرى يمسك باسود كانت تحاول ان تسبب الدمار والأضرار بالحيوانات (بارو، 1979، ص 126 أنظر شكل رقم 1).

ثانياً: الإنسان الثور.

من المواضيع الاخرى التي اشار اليها الفن العراقي القديم ما يسمى بالانسان الثور الذي تظهره الاختام الاسطوانية الاكدية بحالة المنقذ والمخلص للحيوانات الأليفة من قبضة الحيوانات المفترسة المتمثلة بالمشاهد الفنية بالأسد المفترس الذي يرمز الى الموت؛ إذ صور الختم مشهد من القتال بين بين كائن مركب من إنسان وثور مع أسد الذي يحاول أفتراس حيوان الغزال الذي يحتمي يلذ بالفرار ويحتمي خلف الإنسان الثور (أنظر شكل رقم 2). من الممكن أن يعكس ذلك المشهد حالة الصراع المتمثلة بين الانسان الثور والأسد شخصية (انكيدو) أثناء مرحلة ترويضه وانسنته من قبل شمخه، إذ عمل بعد عملية الترويض لدى الرعاة حارساً لحضائر الماشية من الحيوانات المفترسة، وهذا ما أشار إليه النص الآتي:

"اخذ سلاحه وانطلق يطارد الأسود ليريح الرعاة في المساء

اصطاد الذئاب وقهر الأسود

فأستطاع الرعاة أن يهجعوا في الليل مطمئنين

صار انكيدو حارسهم وناصرهم

انه الرجل القوي والبطل الأوحد"(باقر، 1980، ص 89).

لذلك المشهد جذور تأريخيه ترجع الى بداية الألف الثالث قبل الميلاد أي العصر السومري؛ اذ مثل انكيدو ايضا بهيئة كائن مركب من ثور براس انسان (صاحب، نفل، 2010، ص 104) ولقد تمثل أنكيدو بتلك الهيئة في المشهد الفني دلاله على قوته وما القرون إلا سلاح استخدمها في قتاله وهذا دليلاً على قوته وصرامته، لهذا عد حيوان الثور رمزاً للقوة الذي تجلت فيه نعوت وصفات الكثير من الآلهة منها الاله ننورتا والالهة انانا (عبد اللطيف، 1997، ص 115–116).

ثالثاً: الآلهة المجنحه.

من المشاهد الفنية الأخرى التي تعكس دلالات القوة والشموخ مشهد فني حيك بصورة رمزية رائعة بصورة إنسان طائر لآلهة مجنحة عارية بهيئة فتاة جميلة حملت صفات الآلهة لوجود شارات الألوهية (التاج المقرن والعصا والحلقة)، بينما مثلت قدميها

بهيئة قدم طائر جارح مرتكزتين على أسدين، بينما اطر جانبي المشهد بطائري البوم* (صاحب، نفل، 2010، ص 163، أنظر شكل رقم 3). من الممكن ان يكون هذا التمثال رمز للآلهة إنانا (عشتار) وهذا واضحاُ من نواميس الآلهة التي زينت بها نفسها، من تاج الآلهة والعصا والحلقة وهذه من شارات الألوهية التي سعت الآلهة (عشتار) للحصول عليها بدافع غريزة حب السيطرة والتوسع (البصري، 2008، ص 166)، وايضا أن بروز مفاتن الجسد الانثوية من الممكن أن يؤكد على أنها الآلهة عشتار على اعتبار أنها آلهة الحب والجمال.

نستطيع ان نعطي تحليلاً لهذا العمل الفني الذي يرمز إلى شموخ وتعالي الآلهة عشتار من جانبين، الأول من الممكن أن يشير هذا المشهد إلى الآلهة عشتار وهي في مرحلة الخصوبة بوصفها آلهة الحب والجمال إذ أن المشهد الفني يعرض حالة من الغواية الجسدية من قبل الآلهة عشتار من إبرازها للمفاتن الأنثوية رغبة منها في أغواء العشاق لإيقاعهم في شباكها واحداً تلو الأخر (صاحب، 2011، ص 88). وهذا ما أثبتته ملحمة جلجامش في موضوع خطابها الموجه إلى لجلجامش عندما طلبت منه أن يكون زوجاً لها حينها عرضت عليه جمال جسدها وحبها. وهذا ما أشار إليه النص الآتي:

رفعت عشتار عينيها

وعندما وضع التاج على رأسه

شُدهت عشتار الأميرة بجماله

"هيا جلجامش (قالت له) كن زوجي

امنحني ثمرتك

كن قريني، وأنا أصبح زوجتك (الشواف، 2001، ص 336-337).

نستطيع أن نستنتج من خلال النص أعلاه مظافاً إليه المشهد الفني أن الآلهة عشتار بهيئتها تلك ترمز إلى شموخ المرأة بعتبارها كائن حيوي وفعال في المجتمع المدني أو ما عبر عنه المشهد الفني من رؤية تتعلق بعالم الدولة الكونية العليا ومكانت الآلهة الأناث فيها وما تتمتع به مكانة سامية في مجمع الآلهة الرئيسة وما توصف به من صفات الحب والجمال التي عدت الصفة الرئيسة لتلك الآلهة التي أشتهرت بها.

* يعد هذا العمل من اشهر نماذج النحت البارز صيغ بتقنية عالية وعلى ايدي فنانين محترفين، يعرف هذا اللوح باسم لوح (بيرني) محفوظ في متحف اللوفر بباريس.

أما الجانب الثاني الذي يظهره ذلك العمل الفني للآلهة عشتار بوصفها آلهة الحب والحرب معاً، وبدليل أحتواء المشهد الفني على نواميس الآلهة المقدسة من تاج مقرن وعصا وحلقة مع ظهور مفاتن جسدها الانثوية البارزة، وتوجد من الأعمال الأدبية الكثيرة التي تظهر فيها الآلهة عشتار في صورة آلهة الحرب خاصة في مرحلة سعيها للحصول على النواميس الإلهية وهذا ما تثبته أسطورة (أسطورة إنانا وأنكي)؛ إذ أشارة إلى:

"وحق اسم سلطاني، بإسم سلطاني وقوتي،

لأقدمن النواميس الإلهية إلى ابنتي (انانا) المقدسة" (كريمر، 1958، ص 187).

النص أعلاه يبين أستحواذ الآلهة (عشتار) على النواميس الإلهية كما مبين في العمل الفني. وبهذا نستطيع أن نستنتج عن طريق دمج رموز الأساطير التي ظهرت بها الآلهة عشتار مع هيئتها في هذا العمل الفني نقول أنه من الممكن أن يعبر هذا المشهد عن حالة الأستعداد والتهيؤ للحرب وفرض سلطاتها على العالم الأسفل كما جاء في النص:

"ربطت المراسيم المقدسة السبعة إلى جنبها

المراسيم المقدسة، مبتغاها، مسكتها بيدها

الـ (شوكرا)، تاج السهل، وضعته فوق رأسها

فبدأ على سيمائها البهاء

أمسكت الصولجان اللازوردي بيدها

وربطت حول عنقها أحجار صغيرة من اللازورد

الأحجار المتلألئة وضعتها على صدرها

ووضعت سواراً من الذهب في معصمها

وغطت صدرها بدرع مرصع

وارتدت جميع ملابسها كسيدة وقورة" (كريمر، 1971، ص 139– 140).

عند مقارنة النص أعلاه مع هيئة الآلهة عشتار في المشهد الفني نجد أن هناك نوعاً من التطابق فيما بين النص الأدبي وما يرمز إليه المشهد الفني من خلال الأمور الآتية:

1- وجود التاج المقرن

2- وجود الصولجان

3- الاحجار الصغيرة حول العنق

4- سوار من الذهب في المعصم

يدل هذا على أن الآلهة عشتار بتجسيدها لتلك الهيئه كانت ترمز إلى دلالات قوتها بعتبارها آلهة الحرب، لكن كما هو معروف أن عدد النواميس الالهية في العمل الفني تكون ناقصة وغير مكتملة وهذا ما دفعنا الى أعطاء تحليل أخر إلى ذلك المشهد الفني وهو أن هذا العمل قد يكون صحيح معبراً عن حالة الحرب للآلهة (عشتار) ولكنها هنا تظهر في حالة الهزيمة والاستسلام والدليل أنها ترفع يديها وهذه علامة من علامات الرضوخ والأستسلام. فمن الممكن أن يعبر ذلك المشهد عن الآلهة عشتار بعد نزولها إلى العالم الأسفل ومعاقبتها من قبل أختها الآلهة إرشيكيكال آلهة العالم الأسفل عقاباً لها لتجاوزها حدود مملكتها محاولةً منها التوسع على ممتلكات الغير.

كما أن هناك دلالات من القوة والشموخ الأخرى التي أشار إليها المشهد الفني متمثلةً بالحيوانات من الطيور متمثلة بجناحي الآلهة ومخالبها وطائر البوم والأسد. ان وجود الاشكال الحيوانية الرمزية في بنية المشهد الفني من الممكن أن تعبر عن تلك الدلالات فرمزية وجود الأجنحة من الممكن أن يعبر عن السرعة متمثلة بالطائر وهذه الاجنحة هما أفضل ما يميزانه، أما المخالب فهي الأخرى تعد عبيراً عن أفضل الأسلحة للأنقضاض على الأعداء أو الدفاء بها وباتصالهما بالأسد يكون ذلك أفضل تجسيد للدلالات القوة متمثلاً بسرعة أجنحة الطائر وقوة الأسد المفترس أقوى الحيوانات مع مخالب الطائر الجارح فهنا أتحاد قوى السرعة مع القوى الجسدية، فكثيراً ما يشاهد هذين الحيوانين في مشاهد الفن العراقي القديمة، إذ نجدهما في مسلة العقبان الذين يمثلان رمز الإله ننجرسو ماسكً بهما في يده اليسرى (بارو، 1979، ص 187 أنظر شكل رقم 4). وايضاً نجد مثل ذلك التجسيد في المشاهد الفنية الموجودة على بوابة عشتار التي يمر شارع الموكب من خلالها، متمثلة بصور حيوانات مركبة من مشاهد الأسود المصورة بصفة رمزية، كذلك نشاهد حيوان مركب أخر بصورة عجل وأخر تنين، يرمز كل منهما إلى صفة مغايرة للآخر فالعجل كرمز للحياة وصديق الإنسان وله أصوله في أقدم صورة رمزية في حضارة العراق القديم، أما التنين فيرمز إلى التنين الأفعى إذ يعبر ذلك الحيوان عن مخلوقات تعيش في العالم الأسفل، وتلك المخلوقات شاع رمزها في فن عصر فجر السلالات متمثلة بذوات الرقاب الملتوية في أختام عصر طبقة الوركاء الرابعة (مورتكات، 1950، ص 442، أنظر شكل رقم 5 – 6 – 7). كذلك من الدلالات التي يرمز لها المشهد الفني أنعكاس لصورة الموت؛ إذ يدل وجود الأسد إلى الموت (مورتكات، 1975، ص 152، أنظر شكل رقم 8) إذ يعد الأسد سلاح وأداة الآلهة تقضي على أعدائها عن طريقه فقد كشفت التنقيبات الأثرية في تل حرمل بالقرب من بغداد عن منحوتات لأسود كانت بمثابة الملاك الحارس لمداخل المعابد ويوحي المظهر الخارجي لتلك الأسود من هيئة الوقوف استعدادها للأنقضاض والهجوم ضد أي معتد يحاول تدنيس حرمة المعبد إذ تتضح

دلالات القوة والشموخ لتلك المنحوتات من حيث التعبير الفني تجسيداً لليقظة والتأهب فقد استطاع الفنان العراقي القديم ان يجسد شموخ تلك المنحوتات بطريقة رائعة جداً من خلال هيئة الوقوف بطريقة تثير الخوف لكل من ينظر إليها (بارو، 1979، ص 343 – 344).

أما شكل البوم فهي دلاله على الأنتباه والترقب والحراسة والحيط والحذر وهذا واضح من خلال حالة الوقوف وفتح الأعين، ومن الممكن أن يعبر ذلك الطائر عن الحكمة والدهاء والمكر (صاحب، 2011، ص 88).

الملفت للنظر من خلال التمعن في ذلك المشهد الفني نلاحظ أن دلالات القوة والشموخ لا تتركز عند تمثال الآلهة بل أن الأشكال الحيوانية الأخرى من طائر البومه والأسد أستمدت هي الأخرى رمزية قوتها وشموخها من خلال وقوفها ومرافقتها للآلهة.

رابعاً: المنحوتات الحارسة.

إن من أروع إبداعات الإنسان العراقي القديم في مجال الفن ما يسمى لدى الباحثين بالثيران المجنحة* الموجودة على بوابات القصور الآشورية التي تعد من أشد الفنون الاشورية ابداعاً وصرامةً (لويد، 1988، ص 206، أنظر شكل رقم 9). نحتت بدقة وعناية فائقة، عبرت تلك المنحوتات عن كائنات أسطورية لمخلوقات مركبة مزيج بين أشكال بشرية وحيوانية كانت من وحي إبداع الفكر الانساني؛ إذ لايوجد لها مثيل في الطبيعة، فكان للرمز الأسطوري بصمته وحضوره الواضح في تلك المنحوتات؛ فقد إستطاع الفنان العراقي القديم أن يوظف أرض الواقع في تلك المنحوتات الفنية التي عكست من خلالها واقع المشهد السياسي للأمبراطورية الآشورية وما غدت عليه من قوة عضمى لها وزنها السياسي وثقلها العسكري بين دول الشرق الادنى القديم؛ إذ إن الشكل المركب الذي ظهرت بها تلك التماثيل من رأس بشري مقترن بتاج الآلهة مع أجنحة النسر بجسم ثور ضخم أنما حملت في طياتها رموزاً للقوة والشموخ والعظمة لبلاد آشور التي يقف خلفها ملكاً عظيماً مؤيداً ومفوض من قبل الآلهة التي أستمد منها قوته لهذا نجد إن الفنان العراقي القديم إستطاع أن يمزج بين القوة والسرعة والنماء في تلك المنحوتات (البصري، 2008، ص 187).

إن دلالات القوة والشموخ الكامنة في المنحوتات الآشورية تكون واضح جداً؛ إذ يتجلى ذلك في عظمة الثور المجنح وتكوينة الخارجي فقد استطاع الفنان الآشوري أن يمزج بين القوة الذكورية للثورة مظيفاً لها سرعة الحركة بواسطة جناح النسر أجتمعت هاتان الصفتان في البنية الجسدية الضخمة التي دلت على الشموخ والعظمة.

* وجدت هذه الثيران في قصر الملك سرجون الاشوري في مدينة خورسباد وهي الآن موجوده في متحف اللوفر بباريس يصل وزنها إلى أربعين طناً.

من دلالات القوة والشموخ الأخرى التي تتضح معالمها في الفن الآشوري نحت لأسد مجنح برأس صقر أجتمعت في ذلك النحت صفة القوة والسرعة وحدة البصر التي يتمتع بها طائر الصقر (عكاشة، 2011، ص 498، أنظر شكل رقم 10).

إن مسألة وضع التماثيل الحارسة في مداخل المدن والمعابد ليس بالامر الجديد عن حضارة العراق القديم فقد عثر على مجموعة من الاسود البرونزية في مدخل معبد الإله داكان في ماري كانت بمثابة الملاك الحارس للمعبد وهي في حالة الأستعداد للأنقضاض على أي شخص يحاول التعدي أو تدنيس حرمة المعبد المقدس (بارو، 1979، ص 343). إلا أن الملفت للنظر في المنحوتات الحارسة الآشورية تميزت بالضخامة للعمل الفني فقد استطاع الفنان الآشوري أن يدرك الأهمية الفنية للتكوين المصور عند أسقاطة في أرض الواقع وبالفعل تمكن النحات الآشوري أن ينجح في تقديم أعظم مشاهد المظهر الأسطوري من خلال تلك المنحوتات التي عبرت برمزيتها الماورائية عن عظمة وهيبة سلطة العرش الآشوري (عكاشة، 2011، ص 450).

قد يكون الهدف من تلك الأعمال الفنية هدفاً معمارياً خالصاً الغرض منها تزين المباني الملكية فهي صممت لتوضع في مداخل القصور(شيت، 2000، ص 115). أو ربما كانت الغاية من تلك المنحوتات توفير الحماية للمدنية (لويد، 1988، ص 210)؛ اذ استخدمت تلك التماثيل لتكون بمثابة الملاك الحارس لمداخل القصور والعواصم الاشورية، وقد يكون سبب جعل خمسة ارجل لها كمحاولة لخداع المنظور ولزيادة طاقتها الحركية (صاحب، نفل، 2010، ص 195). فهي تمثل مخلوقات لعظماء الجان مهمتها حماية بوابات المدينة من المخاطر التي تهددها من الخارج (عكاشة، 2011، ص 534).

كما عُدت تلك المشاهد الفنية دور اعلامي وتأثير دعائي أم الزائرين والوافدين للمدينة فنتيجة لشكلها الغريب من احتوائها على أجنحة الطائر أو رأس صقر في بذلك تثير وتنزل الرعب والخوف لدى الغرباء فهي بمثابة الملاك الحارس للعاصمة والدولة (البصري، 2008، ص 169).

إن ذلك الإبداع في فن النحت كان أفضل دعاية إعلامية الهدف من ورائها أظهار دلالات القوة والشموخ والتعالي عاكسةً بذلك هيبة ومكانة الدولة بين نظائرها من الدول الأخرى. وبهذا تثير حالة من الرعب والخوف في نفوس الأعداء خاصة الزائرين إلى العاصمة الاشورية فهي تمثل خير سلاح صامت يضرب به الاعداء.

قد تمثل تلك المنحوتات تجسيد درامي لمخاوف الإنسان التي كانت تعتلي فكرة، خاصة بما يتعلق بالمخلوقات الخرافية والأسطورية متمثلاً ذلك بحيوان الغول المخيف الذي جسدته المنحوتات الفنية بجسم انسان خنثوي ورأس اسد، وكذلك الحال بالنسبة لحيوانات ذوات الرقاب الطويلة المتصارعة مع بعضها بهيئة التشابك ذو رأس افعى (بارو، 1979، ص 126–128، أنظر شكل رقم 11).

الأستنتاجات

1- كان الفن وسيلة التعبير الأولى التي من خلالها عبر الإنسان عما يدور في فكره.

2- تنوع النتاجات الفنية مما ساعد ذلك على تنوع الأفكار والمواضيع لتلك الأعمال.

3- كان النحت بنوعية المجسم والبارز أحد أهم النتاجات الفني التي عبر من خلاله الإنسان العراقي القديم عن تطلعاته ورؤيته للحياة.

4- يعد النحات العراقي القديم ذو منزله مرموقه في المجتمع إذ يعد إبداعه لتلك الحرفه شيئاً لا يستهان به فهو لا يقل شأناً عن الكاتب.

5- تضمن النحت العراقي القديم مجموعة من المشاهد التي أحتوت هي الأخرى على مجموعة من الدلالات الرمزية كانت القوة والشموخ واحده منها.

6- أتخذ النحات العراقي القديم من الفن وسيله ليعكس من خلاله مظاهر المجتمع التي كانت سائده.

7- تنوع المضمون للمشهد الفني الواحد إذ قد يعطي المظهر الخارجي للمشهد الفني بعداً رمزياً للماورائيات كالثيران المجنحه التي وضعت للجمالية والزينة في بوابات المدن والقصور إلا أنها ذات بعد رمزي فهي بمضمونها الباطني مخلوقات حارسه لتلك المدن.

الملاحق الأشكال والصور.

شكل رقم (1)

واجهة مزهرية يظهر فيها البطل جلجامش كحامي ومنقذ للحيوانات، (بارو، 1979، ص 126).

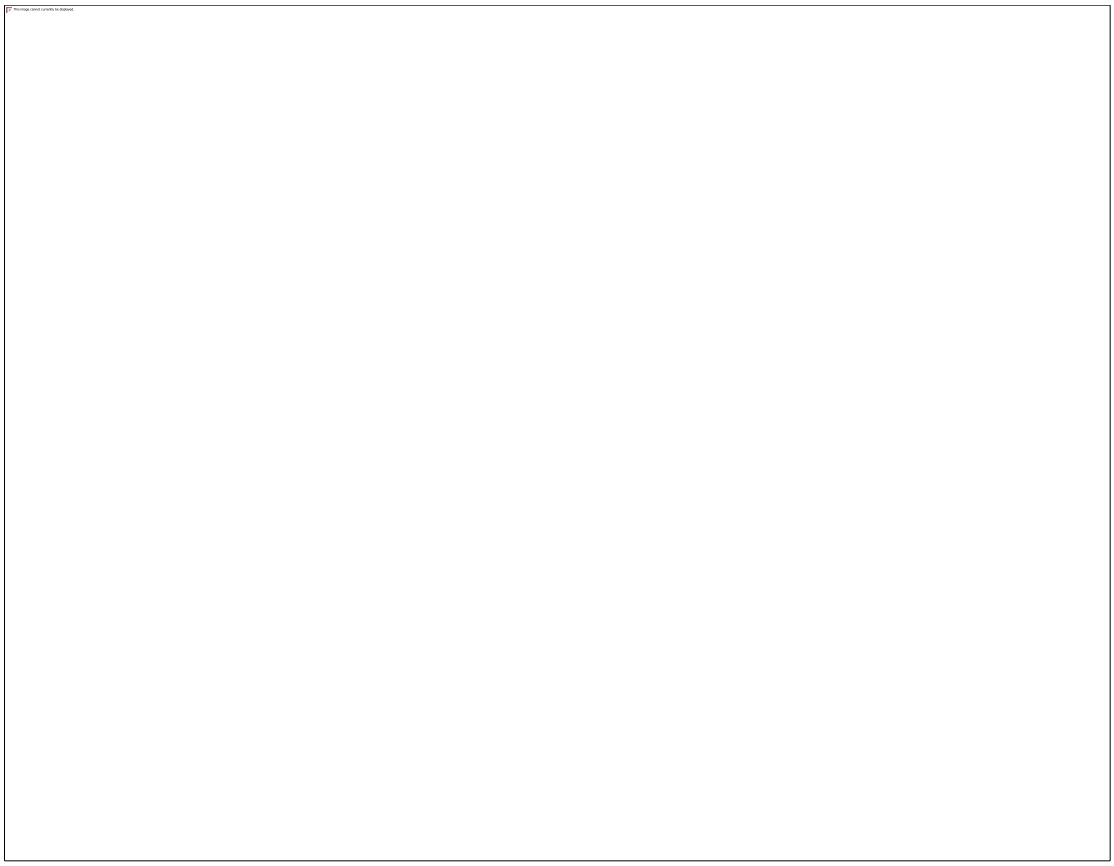

شكل رقم (2)

الانسان الثور في صراعة مع الاسد، (رشيد، الحوري، 1982، ص 180 – 181).

شكل رقم (3)

الآلهة عشتار رمزاً للحب والحرب، (صاحب، 2011، ص 139).

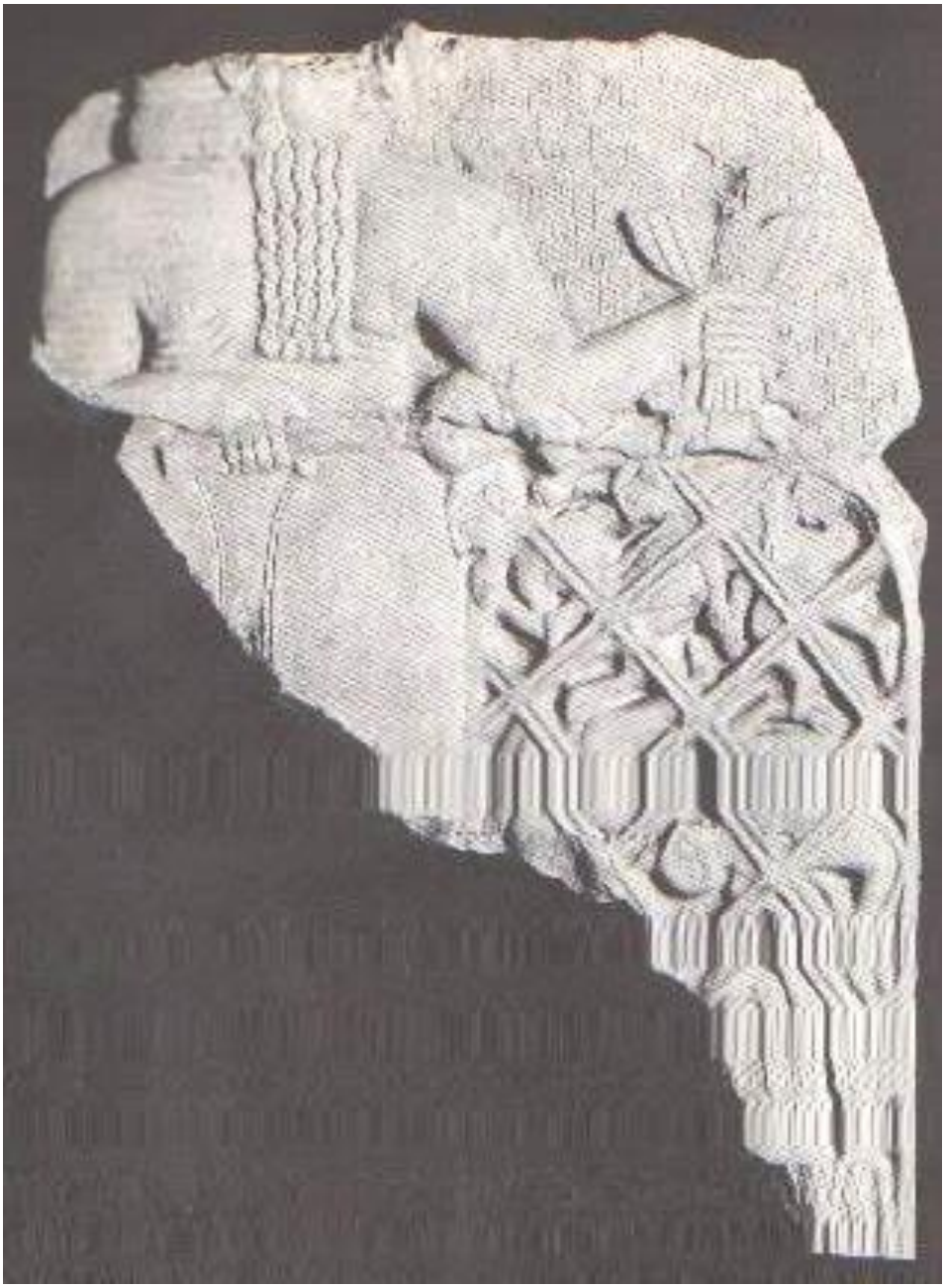

شكل رقم (4)

مسلة العقبان الإله ننكرسو يمسك بالأعداء. (عكاشة، 2011، ص 215).

شكل رقم (5)

التنين الباعث للموت، (مورتكات، 1975، ص 444).

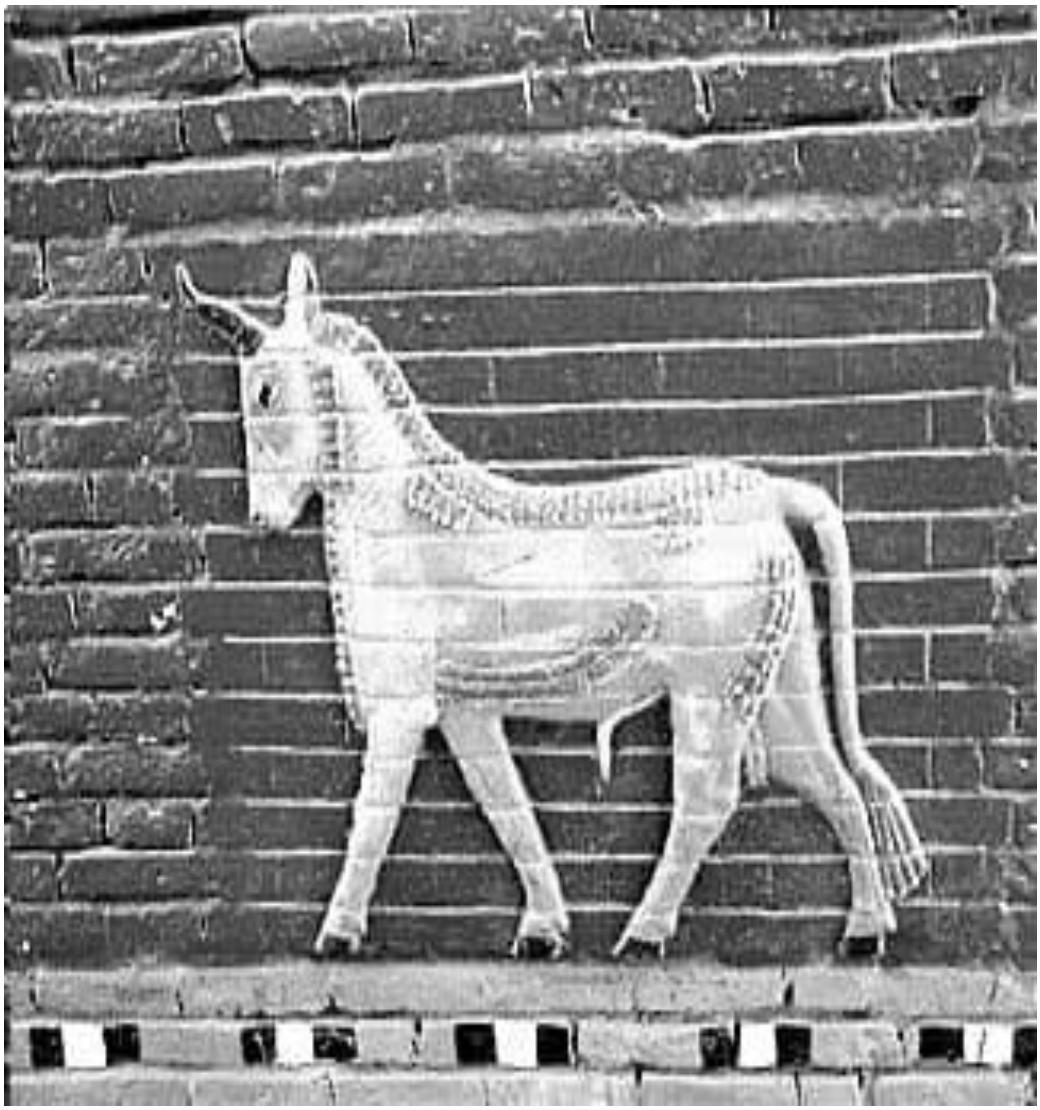

شكل رقم (6)

العجل الباعث للحياة، (عكاشة، 2011، ص 619).

شكل رقم (7)

تنين ذات الرقاب الطويله، (بارو، 1979، ص 128).

شكل رقم (8)

أسد يحرس المعبد، (بارو، 1979، ص 343)

شكل رقم (9)

الثور المجنح، (بوستغيت، 1991، ص 114).

شكل رقم (10)

أسد مجنح، (عكاشة، 2011، ص 498).

شكل رقم (11)

حيوان مركب متكون من رأس اسد وجسم انسان، ثروة عكاشة، (بارو، 1979، ص 127).